مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في لبنان

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

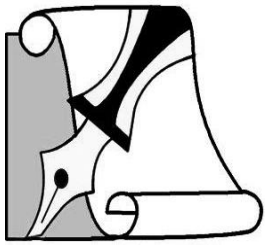

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في لبنان

أهداف المركز الرئيسية:

١ ـ إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.
٢ ـ الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
٣ ـ بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
٤ ـ إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

خرقت الكلمات الثلاث التي ألقاها الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، في الأيام الماضية، الجمود السياسي الداخلي الذي لم يطرأ عليه أي جديد، ذلك أن لا مشكلة كبرى على صعيد سلسلة الرتب والرواتب التي بات إقرارها مسألة وقت لا أكثر، كما أنّ ما شاع في فترة الأيام القليلة الماضية حول إمكانية تأجيل الانتخابات النيابية، بدا غير واقعي نتيجة إجماع القوى السياسية الكبرى، باستثناء تيار المستقبل (ضمنا)، على إجراء هذا الاستحقاق على أساس القانون الجديد للانتخابات.

على السعودية تجرّع كأس الهزيمة

وقد وجّهت كلمات السيد نصر الله رسائل في أكثر من اتّجاه، إسرائيليّاً وإقليميّاً وداخليّاً، وكان أهمّها تلك التي ألقاها في يوم العاشر من محرم، المناسبة الثابتة الأهم بالنسبة إلى الأمين العام لحزب الله والتي يلقي خلالها كلمة محمّلة بمعانٍ سياسيّة ودينيّة وتاريخيّة.

وإذا كانت كلمة السيد نصر الله في يوم العاشر هي الأهم لما حملته من دلالات على صعيد الصراع مع العدو الإسرائيلي، فإنّ الكلمات الثلاث تقاطعت في ما بينها حول أكثر من قضيّة.

وقد اختار الأمين العام لحزب الله ذكرى العاشر ليصدم الإسرائيليين وينصحهم بالهجرة المعاكسة قبل فوات الأوان، عبر خطاب أراد منه أوّلاً توجيه رسالة ردعيّة لمنع الحرب، أو تأجيلها على الأقل، من دون أن يعني ذلك أنّ حزب الله غير قادر على مواجهتها.

لكن السيد نصر الله وجّه واحدةً من أقسى الرسائل وأكثرها جرأةً إلى اليهود المستوطنين في فلسطين المحتلة، طالباً منهم العودة إلى الدول التي أتوا منها لأنه لن تكون أمامهم فرصة للمغادرة إذا نشبت الحرب.

وهي رسالة على قادة العدو أخذها في عين الاعتبار، وذلك لسبب جوهري مؤدّاه أنّ إمكانيّة نسف التوازنات الجديدة عبر عدوان إسرائيلي على لبنان سيؤدّي إلى نشوب حربٍ متدحرجة ومباشرة، بعدما كانت تدور حتى هذه اللحظة بشكلٍ محدّدٍ وغير مباشر.

ذلك أنّ لعبة حافة الهاوية التي كانت دائرة حتى اليوم كانت على الشكل الآتي: الحزب يقاتل إلى جانب النظام السوري وإسرائيل تدعم فصائل المعارضة، وساحة المواجهة هي سوريا، مع بعض الاستثناءات المتّصلة بهجمات على أهداف للحزب وردود موضعيّة عليها.

يجب التحذير هنا أنّ الإسرائيلي والإدارة الأميركية سيحاولان التعويض عن هزيمة مشروعهما في الميدانين السوري والعراقي بانتصار مفترض في مكانٍ آخر، قد يكون لبنان.

ويتسلّح رئيس حكومة العدو بنيامين ناتانياهو بكون محور ما يسمّى بالاعتدال العربي يقف ضمناً، وأحيانا علناً، مع شنّ حرب على إيران وحزب الله في ظلّ مسعى لتصفية القضية الفلسطينية تقف السعودية على رأسه ومعها الإمارات ومصر والأردن ودول عربية أخرى لكن غير ذات تأثير كبير على الأحداث.

وتعمل تلك الدول على تحييد أبرز حركات المقاومة في فلسطين، أي حماس، التي تدرك جيداً هذا المسعى، وقد عُلِم من أحد قياداييها أنّ الحركة لن تسمح لهذا الأمر أن يتم، برغم إدراكها لصعوبة المرحلة إلاّ أنّها لا تزال على خيارها المقاوم برغم التأويلات المتعدّدة لوثيقتها الأخيرة.

في كل الأحوال، تبدو رسالة السيد نصر الله واضحة: المقاومة لن تسمح لأعدائها باستثمار هزيمتهم، ويجب على المحور الآخر تقبّل هذه الحقيقة التي ستحميها المقاومة ووراءها محور يمتدّ من طهران مروراً ببغداد ودمشق. وهو الأمر نفسه الذي أكّد عليه السيد نصر الله في خطابه أمس في ذكرى القيادي الكبير علي العاشق وأخيه في الشهادة محمد ناصر الدين، بدعوته المحور الآخر إلى تقبّل خسارته.

ويجب التذكير أنّه منذ العام ٢٠٠٦ حتى اليوم، لم تكن إسرائيل قادرة على فتح الحرب على لبنان، ولكنها، مع بدء الحرب السورية والمواجهات العسكرية التي قام بها حزب الله في سوريا، فإنّ إسرائيل وجّهت جهودها نحو دعم المجموعات المعادية للحزب في سوريا، وعملت على تنفيذ اغتيالات نوعيّة لقادة الحزب، واعتراض طرق شاحنات السلاح المتوجّهة إلى لبنان. ووقفت عند هذا الحدّ، من دون التجرّأ على خرق قواعد الاشتباك في لبنان.

من هنا، لم يكن الخطاب في إطار حرب نفسيّة أو قنبلة صوتية، ذلك أنّ الإسرائيلي يدرك جيّداً أنّ السيد نصرالله لا يطلق تهديداً إلاّ إذا كان قادراً على تنفيذه. كما أنّ الجمهور الإسرائيلي يعلم تماماً أهميّة ومصداقيّة ما يُدلي به السيد نصر الله الذي يوجّه رسالة تحذيرية من حربٍ إقليمية شاملة.

وهنا، يجب التذكير بما قاله السيد نصر الله سابقاً أنّه يجب أن يعرف العدو أنّه إذا شنّ حرباً على سوريا أو على لبنان فليس معلوماً أن يبقى القتال لبنانيّاً إسرائيليّاً أو سوريّاً إسرائيليّا. فقد تفتح الأجواء لمئات آلاف المجاهدين من كل أنحاء العالم الإسلامي والعربي ليكونوا شركاء في هذه المعركة، فمحور المقاومة أصبح معنيّاً بمصيرٍ واحد.

استشعار السيد نصر الله بالخطر تقاطع مع توجيهه رسالة في غاية الأهمية في موضوع التعاطي مع الخروقات الإسرائيلية، لافتاً النظر إلى أنّ هذا الأمر إن لم يعالج بالطرق السياسية، فـ"سنعالجه بطريقتنا"، وفي ذلك رسالة أخرى من قِبله أن الحزب في جهوزيّةٍ كاملة، كما أنّها رسالة أمنيّة بإمتياز تتقاطع مع حديثه عن ضعف الجماعات التكفيرية بعد معارك الجرود.

ويمكن ببساطة الاستخلاص أنّ العدو الإسرائيلي قلق من هزيمة تنظيم داعش في سوريا والعراق والحدود الشرقية للبنان ومن الانتصارات المتلاحقة التي يحقّقها حزب الله وحلفائه بكل دلالاتها الإستراتيجية. وهو لجأ إلى مناورة كبرى شمالي فلسطين المحتلة، في إطار محاكاة حرب محتملة تشتمل احتلال المقاومة مستوطنات في الجليل الأعلى.

كما أنّ العدو يتسلّح بوجود رئيس أميركي غير مسيّس وغير مقدّر تماماً لكيفيّة مسار الأمور خارج الولايات المتحدة، وليس تلميحه للانسحاب من الاتّفاق النووي مع إيران سوى مثالاً على ذلك، وإن كان الأمر يتعلّق بحسابات سياسيّة أميركيّة تتعلّق بالمنطقة، وغير خاصّة تماماً بالاتّفاق النووي مع إيران.

وكان من المُلاحظ أنّه بعد ساعات على تحذيرات السيد نصر الله لإسرائيل ولغيرها، أطلّ وزير الدفاع الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان، اليميني المتطرّف، ليعترف أنّ الرئيس السوري بشار الأسد قد انتصر في سوريا وأنّ دولاً كثيرة أوروبيّة وعربيّة معتدلة بدأت تقترب منه.

ولكنّه، في المقابل، دعا الإدارة الأميركية إلى تفعيل دورها في المنطقة، ما يشير إلى أنّ إسرائيل غير حاسمة في مسألة العدوان، ولكنّها تراقب تطورات المسرح السوري بدقّة، وخاصة النفوذ الإيراني المتزايد، ومن السابق لأوانه الحديث عن صدام إيراني إسرائيلي على المسرح السوري.

في هذه الأثناء، عُلِمَ من أوساط في التيار الوطني الحر أنّ رئيس الجمهورية العماد ميشال عون سمع "رسائل غربية" على هامش رحلته الأميركية ـ الفرنسية الأخيرة، لمّحت له أنّ إسرائيل يمكن أن تقدم على عمل عسكري كبير ضد لبنان ربطاً بما يُثار في الإعلام الإسرائيلي عن إقامة مصانع لصواريخ كاسرة للتوازن على أرض لبنان.

وقد تقاطع هذا الأمر مع معلومات لدى فصائل فلسطينية، ومنها حماس، تُفيد بأنّ الإسرائيليين قد طلبوا منذ فترة من سفارات غربيّة إبلاغ الحكومة الإسرائيلية مناطق تواجد تلك السفارات لكي لا يتمّ استهدافها بالخطأ في أيّة غارات مُقبلة على لبنان.

على أنّها ليست المرة الأولى التي يلجأ فيها العدو إلى تهديد لبنان، وقد اتّضح أنّ تلك التهديدات لم تكن سوى تهديدات كلامية، عبر تحذير لبنان بإعادته إلى العصر الحجري.

وتردُّد إسرائيل بشنّ هذا العدوان، يعود إلى إدراكها لواقع موازين القوى في المنطقة ما قد يدفعها إلى تجنّب القيام بأيّة حماقة على الأرض اللبنانية.

على أنّ الأهم على هذا الصعيد، ما حذّر منه السيد نصر الله من خطورة ما يحاك للمنطقة من خطّة للتقسيم تؤدّيها القيادات الكردية، سواء كان ذلك عبر سياسة مقصودة أو عن غير علم، بينما تقف إسرائيل على رأس المحرّضين على تلك السياسة.

وإذا كان السيد نصر الله واضحاً عندما اتّهم الولايات المتحدة والسعودية بالدعوة إلى هذا التقسيم، فمن المفيد استحضار مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تمّ إسقاطه في عدوان تموز ٢٠٠٦، وكان يهدف إلى تقسيم المنطقة على أسس عرقيّة وطائفيّة ومذهبيّة.

وقد حذّر السيد نصر الله من أنّ تقسيم المنطقة سيصل إلى السعودية وهي أكثر دولة معرّضة للتقسيم. ومن دون الخوض في خطاب مذهبي، فإنّنا يجب أن ننوّه على هذا الصعيد أنّ المنطقة الشرقية في السعودية، ذات الغالبية الشيعية، هي المنطقة الأغنى في العالم من حيث الثروة النفطية، وهو أمر يجب أن يلتفت إليه الجميع، وعلى رأسهم العائلة الحاكمة في السعودية التي يبدو أنها تلعب بالنار بدعوتها إلى تقسيم العراق. كما أنّه من المُفيد القول أنّ أكثر من ٩٠ في المئة من العاملين في القطاع النفطي في تلك المنطقة هم من أبناء الطائفة الشيعية.

خطر التقسيم ينطبق أيضاً على دول الخليج الأخرى التي سيؤول مصيرها إلى التقسيم والاقتتال الداخلي إذا ما دعمت تقسيم العراق.

ومن الواضح أنّ السيد نصر الله يُعيد التذكير باستمرار بوجود مشروعين تاريخيين في المنطقة، الأوّل ينادي بتقسيم المقسّم لمنع ولادة قوّة تواجه إسرائيل، والثاني يطالب بجمع القوى في المحور المقابل، مشدّداً على ضرورة أن يتحرّك الجميع لتحقيق المشروع الثاني ومواجهة التقسيم.

كما وجّه السيد نصر الله رسالة هامّة عبر التشديد على المسلّمة اللبنانية للحزب: حفظ الإستقرار الداخلي. وهو أمر عناه جيداً عبر تأمينه مخرجاً لائقاً للرئيس ميشال عون وللحكومة في سعيهما إلى تجنيب لبنان مآل العقوبات المالية المنتظرة على الحزب، من دون دعوته إلى مواجهة داخلية شاملة مع هذا القانون.

وهو كان أطلق دعوة إلى التواصل والتلاقي بين مختلف القوى، بعيداً عن التحدّي، من دون توجيه اللوم إلى أيٍّ من القوى الأخرى، مشيراً إلى أنّ "الإبتعاد عن التحدّي مكّن اللبنانيين من التوصّل إلى حل" في موضوع سلسلة الرتب والرواتب، بعد أن "كان البلد أمام استحقاقٍ خطير".

وقد ابتعد عن أي خطاب سجالي، وفي كلماته، حذّر من أنّ السعودية تحضّر لاصطفافات جديدة، وجرّ لبنان إلى مواجهة داخلية، في تلميحٍ إلى زيارة بعض الأطراف اللبنانية إلى السعودية وخشية ممّا قد ينتج عن هذا الأمر من مواقف سياسية.

وعُلِم على هذا الصعيد أنّ تلك الزيارات تعدّ بمثابة تحضير لاستنهاض همّة بعض الأطراف كالقوات اللبنانية وحزب الكتائب وبالطبع تيار المستقبل، في سبيل رأب تصدّع جبهة قوى ما كان يُعرف بقوى ١٤ آذار.

لكن من غير المقدّر لهذه الجهود أن تنجح كون الجميع ملتزم بالتسوية الكبرى في البلاد التي أتت بالعماد ميشال عون رئيساً وبزعيم المستقبل سعد الحريري رئيسا للحكومة.

من هنا، استشعر السيد نصر الله بقلق داخلي من محاولة لايجاد قلاقل سياسيّة وأمنيّة، في ظلّ انتشار أقاويل حول فرضية سقوط الحكومة الحالية. وهو دعا بعض الأطراف اللبنانية إلى تجنّب الدخول في أي مواجهة داخلية، بدفع سعودي وأميركي، لكن كلامه كان ذا دلالات عندما أكّد، في سياقٍ موازٍ، أنّ حزب الله في أقوى وضعٍ له منذ تأسيسه.

وقد تقاطعت دعوته إلى حفظ الإستقرار مع توفيره الغطاء للحكومة عبر تشديده على الإستمرار فيها كما على "التعاون الإيجابي"، ومع تشديده على تفعيل عمل المؤسسات وإجراء الانتخابات النيابية وفق القانون الأخير للانتخابات.

ولكن، في مقابل هذا الرأي، يقول متابعون لمواقف زائري السعودية أنّ تلك الزيارات روتينية وطبيعية، وقد حُمّلت أكثر ممّا تحمل، وتأتي في إطار استعراض المواقف وتبادل الآراء، فضلاً عن كون زيارة النائب سامي الجميل، على سبيل المثال، كانت زيارة "تعارف" بالنسبة إلى القيادة السعودية الجديدة.

ولا يبدو بالنسبة إلى هؤلاء الحديث عن أجندات ومخططات في خلفية هذه اللقاءات واقعيّاً، علماً أنّ العكس هو الصحيح، برأيهم، خصوصاً في ضوء المساعي الحثيثة للمحور الآخر لفرض التطبيع مع سوريا كأمرٍ واقعٍ لا لبس فيه، ووضع الحكومة رهينة له بشكلٍ أو بآخر. ويرى هؤلاء أنّ الاتهامات بحق القوات والكتائب هي من تسمّم الاستقرار.

ويشير البعض في قوى ١٤ آذار إلى أنّ السيد نصرالله أصرّ بخطابه الأخير على موقف الحزب الداعي لجعل لبنان طرفاً في كل الصراعات الإقليمية، وهذا البعض يسأل: من يملك قرار الدخول بالحروب من عدمه؟

على أنّ السيد نصر الله قد أعاد في خطابه الأخير التذكير، وبشكلٍ حادّ هذه المرة، على محاولات السعودية لإعادة الاصطفاف الداخلي، ربطاً بمحاولتها المكابرة حول خسارة محورها في المنطقة، علماً أنّ هذا الأمر لن ينفع وكل ما في مقدرة السعودية فعله التقليل قدر الإمكان من تداعيات هذا الانتصار عليها.

وفي استعداد لمرحلة ما بعد داعش، تناول الأمين العام لحزب الله تلك الظاهرة، وهي إحدى تجليات المدّ التكفيري، والأصل في هذا المدّ التكفيري هو الفكر الوهابي الظلامي، وقد وضع السيد نصر الله الأمّة أمام مسؤولياتها لكي تقف موقفاً حاسماً على هذا الصعيد كون الإسلام منها براء، مؤكداً أنّه يجب حسم المعركة وجوديّاً مع داعش.

وقد وجّه رسالة مواجهة هامّة إلى الرياض عبر تحذيره من عودتها، من باب إعادة رسم خرائط التحالفات في المنطقة ربطاً بهزيمتها فيها، إلى محاولة العبث بالمسرح اللبناني، وخاصة في الشمال، وقد بلغ التحذير أوجه مع تهديده بأنّ اليد التي ستمتدّ إلى هذا البلد ستقطع، والسعودية هنا لن تسرق النصر المعمّد بالدماء، علماً أنّ التحذير موجّه أيضاً إلى بعض اللبنانيين الذين قد ينجرّون إلى المخطّط السعودي.

من هنا، كانت رسالة بالغة الوضوح بمواجهة ما تمثله السعودية من "خطر على الأمن والسلام الإقليمي إلى جانب إسرائيل".

وبرغم كل تلك المعطيات، كان من المفيد أنّ السيد نصر الله ترك الباب مفتوحاً أمام الحوار والتقارب السعودي-الإيراني. وهو توجّه إلى حكام السعودية قائلاً أنّ الطريق هو الحوار حيث يمكن الحفاظ على المصالح ويمكن الوصول إلى تسويات وضمانات بما يحفظ مصالح الجميع وكرامات الجميع.

لكن، مع كون السيد نصر الله واضحاً بأنّ المقاومة في أعلى جهوزيّة لها اليوم، فإنّ هذا الأمر يعني أنّ دعوته تلك إلى الحوار ليست من موقع الضعف، بل من موقع القوي والواثق الذي يعرف أنّه مُقبل على مواجهة صعبة وطويلة.

إرتياح فلسطيني

في هذه الأثناء، عاد الشأن الفلسطيني ليفرض نفسه في لبنان عبر اتّفاق المصالحة بين حركتي فتح وحماس في غزة، ما أسفر عن ارتياحٍ في الساحة الفلسطينية في لبنان وخاصة في مخيم عين الحلوة.

وعُلِم على هذا الصعيد، أنّ الفلسطينيين في المخيمات شعروا بالانعكاس الإيجابي لذلك الاتّفاق على الأوضاع المعنوية للاجئين ما يفتح الطريق أمام تفاهمات جديدة تكون الحركتين الكبريين عمادها، وخاصة في عين الحلوة.

ويقول متابعون لهذا الملف أنّ ثمّة عمل حثيث على تجنيب مواقع الشتات الفلسطيني في لبنان وخاصة عين الحلوة، أي توتر، في سبيل التفرّغ لمواجهة ما قد يضرّ بقضية اللاجئين.

وثمّة سعي كبير من قبل فتح وحماس على الاستمرار في عمل القيادة السياسية الموحدة للفصائل وتعزيز نشر القوة الأمنية في عين الحلوة، ورفدها بغرفة عمليات مركزية لمتابعة الأحداث الطارئة والتطورات في المخيم. ثم الشروع في حوار فلسطيني شامل يؤسّس لتوحيد الرؤية في سبيل، أوّلاً، منع العنف، وثانياً، الشروع في حوار بناء مع السلطات اللبنانية يوفّر الحقوق الفلسطينية.

ويبدو التمّسك بحق العودة الهدف الأول للفلسطينيين الذين يتوجّسون من خطر التوطين، على قضيتهم أوّلاً، كما على لبنان ثانياً.

وثمّة عمل يجري هذه الأيام في سبيل التوصّل إلى معالجة نهائية للخلل الأمني القائم في عين الحلوة. لكن، هناك موقف موحّد بين الفصائل مؤدّاه عدم التراجع عن المطالبة بالحقوق الفلسطينية، سياسيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً، وعدم الاقتصار العمل على الشقّ الأمني.

من هنا، سيتمّ استثمار المصالحة في غزة في سبيل تفاهمات فلسطينية فلسطينية، وفلسطينية لبنانية للتوصّل إلى حلولٍ جذريّة للحالة الشاذّة للمتطرفين في عين الحلوة. وستساعد الأجواء الإيجابية الجديدة على توحيد الموقف الفلسطيني للقاء الجهد اللبناني الحاسم في سبيل الخلاص من تلك الحالات الشاذّة.

وفي هذا الإطار، يتمّ العمل على توفير أجواء آمنة بين الفصائل الفلسطينية، وبين الفلسطينيين واللبنانيين، بعد تسليم لائحة أوّلية بالمطلوبين داخل المخيم إلى السلطات اللبنانية، وهو أمر لا زال مستمراً هذه الأيام عبر رفده بأسماء جديدة، كما أنّه سيتواصل في الفترة المقبلة.

ويؤكّد الفلسطينيون أنّ المعالجات كافة لهذا الملف يجب أن ترتكز على المبدأ الأساسي بالنسبة إليهم وهو الحفاظ على المخيم وتثبيت أمنه واستقراره، وكذلك حماية العلاقة مع الجوار اللبناني.

ويطالب هؤلاء بإجراء مسح شامل عن المطلوبين كافة في المخيم، وعن الاتهامات القضائية أو الأمنيّة الموجّهة لهم. وبينما يرفض الفلسطينيون الاقتصار على العمل العسكري في المخيم، باتت الفصائل على استعداد لأي عمل مشترك في سبيل التخلّص من الحالات الفلسطينية الإرهابية في عين الحلوة، على أن يحصل جهد مشترك في سبيل تسليم بعض اللبنانيين المتواجدين في المخيم، الأمر الذي سيكون ملقى على عاتق السلطات اللبنانية أوّلاً.

وعلى صعيد الحوار مع لبنان، ثمّة تقدّم على هذا الصعيد، لكنّه تقدّم لا يشفي غليل الفلسطينيين الذين يطالبون اللبنانيين بالمزيد، وخاصة رئيس الجمهورية العماد ميشال عون الذي استقبل أكثر من وفد فلسطيني عرض المطالب الفلسطينية. بالإضافة إلى عمل تقوم به لجنة الحوار اللبنانية الفلسطينية على هذا الصعيد.

إلاّ أنّ ثمّة جهد كبير لا زال ينتظر الفلسطينيين، ويبدو أنّ الأولويات اللبنانية لا تلحظ الشروع في عمل جدّي لتحسين ظروف عيش الفلسطينيين، الذين، في موازاة ذلك، يدركون أنّ للمرحلة الإقليمية ظروفها، والتي يتصدّرها موضوع مواجهة الإرهاب بالنسبة إلى السلطات اللبنانية المختلفة.

لذا، من المرجّح أن يستمرّ العمل مقتصراً على تنسيق أمني لبناني فلسطيني، ومن المنتظر أن تزداد الضغوط اللبنانية على الفلسطينيين للعمل على التخلّص من بؤر الإرهاب في عين الحلوة. لكن من غير

المرجّح تحقيق خرق كبير على هذا الصعيد وستستمر حال المراوحة في هذا الملف طويلا، كما أنّ المطالب الفلسطينية لا يبدو أنّها ستلقى آذاناً صاغية قريباً.